على الحدود

الليل والهمسات والصمت المبيد
على الحدود
والطفل يصرخ بانفعال
« اماه .. اين ديارنا ؟؟ »
مستفهماً
« اماه .. اين ديارنا
اين التي حدثتِ عن سهراتها
والورد
و « البرقوق » في هضباتها
هل هذه اماه .. هذي ارضنا .. ؟ ! »
والوحشة السوداء .. والام الحزينة في اكتئاب
تبكي وتجهل ما المصير
فتخفف الخوف المرير
في آهةٍ مكبوتة
« اسكت حبيبي .. لا تزد
لا ترجع الماضي السعيد
لا تبعث الاحلام والآهات
لا تذكر الوطن الفقيد .. »
ـ اماه .. هل سنعود ؟ ! يوماً
« لا تزد ! »
والام تنصت باكتئاب
والليل .. والشهداء .. والدم والحديد ! !
والحقد .. والثأر المبيد
يرددون
على الحدود
غداً نعود !!!

سمير صنبر

هذا والواقع ان العنصر الاسلامي كان يهيمن هيمنة تامة حتى عام ١٠٣١ ، ثم برزت الى الوجود المشاركة الفعلية بين العنصرين الاسلامي والمسيحي واستمرت من ١٠٣١ الى ١٤٩٢ وبين ١٤٩٢ و ١٦١٣ داب العنصر الاسلامي في الوسط المسيحي وسار في طريق الانحلال . ولم تخل هذه الانتقالات بين مرحلة الى اخرى من ازمات دامية . ولكن الدم المراق لم يكن نتيجة احقاد جماعية ، وان بعض الوقائع مثل اغتيال رؤساء المسيحيين العرب في قرطبة عام ٨٥٩ وخيانة العهد المكتوب لغرناطة عام ١٤٩٩ لم تكن إلا ظواهر فردية لا تعمد فيها .

ومهما يكن من امر فان هذا التيار المستمر الذي اتى الى اسبانيا بعرب الجزيرة وبالمراكشيين (وهم مزيج عربي ايبري ـ كما رأينا ـ شبيه بالمزيج الاسباني ومختلف عنه في آن واحد) ، وبالتأثيرات الجديدة الصادرة من الشرق الاوسط ، من بغداد والقاهرة واستانبول ، قد عمل عمله في اسبانيا المسيحية التي كانت فيما بعد اساساً للدولتين الاسبانية والبرتغالية .

وبما لا شك فيه ان الاسلام كان احدى المواد الاساسية في بناء اسبانيا المسيحية ، فان التطعيم جعل الاسلام والعروبة يتغلغلان في لحم اسبانيا باجمعها ودمها ، حتى انه ليس في المستطاع القول ـ دون خطأ ـ ان مسجد قرطبة ومأذنة اشبيلية وحمراء غرناطة هي آثار خلفها في اسبانيا فاتحون غرباء ، اذ ان سليلي اولئك الذين بنوها ما زالوا يعيشون في اسبانيا ويشكلون قسماً من العوامل الاسبانية ولذا فان مجد هذه الآثار هو ملك هذه السلالات ـ اكثر من ملك ابناء الشرق الاوسط الحديث . **وهذا يعني ان العروبة حين تمثلتها اسبانيا جعلت من اسبانيا شيئاً عربياً الى حد ما ، وان اسبانيا اذ حملت التراث في احشائها جعلته اسبانياً الى حد كبير .**

(باريس) ترجمة : **صباح محي الدين**